304
٣٠٤
(خاطرة)
شقة ٣٠٤
خاطرة طويلة أشبه بسيرة مؤقتة
بقلم: قاسم حمود الريس

شقة 304

(خاطرة)

شقة ٣٠٤
(قاسم حمود الريس)

لونها بُني كئيب جداً.. حتى موقعها بين الشقق يبدو كئيب أيضاً.. حيث تقع في آخر الطابق.. والغريب بالأمر أن العمّال الذين ينظفون باقي الشقق.. لمرات كثيرة أهملوها.. دون أي اِهتمام حقيقي.

حينما دخلها أول مرة.. ظن بأنها مهجورة.. توقف في الصالة وقد شعر بأن شيئاً ما قد أُضيف لصدره.. يشعره بالضيق ولا يعلم ما هو, شيئاً ما قد توقف على جُفني عينه أثقل عليه ولا يعلم ما هو, ولكنه في نهاية الحدث اِختارها على أية حال.. ولا يعلم لماذا؟! اِعتاد على الجلوس وحده بها، الأكل، النوم.. كل شيء. حدث كل شيء سريعاً.. واِستراح وحده في ليله لينام وحيداً بعد أن أكل واِستعدّ لعمله في الغد.

الغد كان بالنسبة له بداية.. هذه البداية تكررت كثيراً ولكن يكمن هناك داخله أملَ لا يعلم ما مصيره. يبقى العبث هو الواقع الملازم له.. كأنه مصير يحاول الهرب منه. بعد يوم روتيني سيعتاد عليه في الأيام بل الأشهر ولربما السنوات القادمة عاد لشقته الصغيرة.

يُضفي البهجة على حياته الفارغة.. ثوب جديد عطر جديد بنطال جديد.. تتكدس الماديات بمحاولة قتل ذاك الفراغ الذي يشعر به. مشاعره أصبحت باردة جداً تجاه الآخرين. ذبُل كثيراً منذ آخر مرة حاول بها أن يُزهر.

.

.

أنظر الى الآخرين وهم مادة دسمة للمقارنة حينما أفكر بوجودي.. ماذا لو كنت أنا ذاك؟ ماذا لو أنني ولدت في بيئة تختلف تماماً عن هذي؟ عرق آخر.. بدين آخر. سأكون أنا هذا؟ أم أنني على أية حال كنت سأصنع هذه الظروف لأكون أنا الآن؟! أتخيّل بشدة لو أنني يوماً اِبتلعت مجموعة كبيرة من عقاقير الاكتئاب تلك و آويت إلى فراشي بعدها ولم استيقظ بعد ذلك. تبدو الفكرة مجنونة.. والأجنّ من هذا أنني وصلت لمرحلة أفكر بذلك حقاً! يا إلهي يجب أن أصرف نفسي عن هذا التفكير بأي حال من الأحوال، كم يكون الوجود كريه حقاً حينما نبحث عن السعادة.. أليس من المفترض أن نشعر بها فحسب.. دون أن نسعى جاهدين الوصول إليها؟! سمعت أحدهم مرة يقول بأن المحاولة بحد ذاتها لفهم السعادة ومحاولة الشعور بها.. كفيل بجعلنا سعداء؟ أليس أن نعيش من أجل شيئاً ما.. سعادة؟ أجعل ذاك الشيء الذي تعيش لأجله هو أن تصل لمرحلة منها.. وستسعد." أي شفقة أحمِلها بقلبي لذاك العزاء والسلوان الذي وصل أليه من يعتقد بذلك. أم أي شفقة احمِلها لمن هم من أمثالي.. أولئِك البائسون الذين لا يستطيعون فعل شيء.. هم عالقين هنا فحسب! سأخرج لأستنشق الهواء بعيداً وأرى النور غير ضوء هذه الشقة الكئيبة. أسبح بالفراغ على أنغام معزوفة تواسيني بها النوتات الموسيقية وتحاكي ألماً فضيع استشعره وأود لو كان لدي القدرة على التعبير عنه. ولكني كاتب سيء بكل الأحوال وتخونني عباراتي في أغلب الأحيان.

الناس من حولي في الطرقات يبدون بأنهم منشغلون بشيء ما.. كنت في الصباح أثناء عملي واحد منهم.. ولكني كنت أشعر بالرهبة من الجميع من حولي.. وبالرغم من ذلك كنت أشعر بأنني لستُ هناك. العمل وبيئته أنه نظام اِستعباد حداثي خضع له الشخص من غير حول منه ولا قوة.. خاضع سيكون خاضع لفترة طويلة وهو

صاغر. أغبط أولئك الأحرار الذين لا تقيدهم القيود وإستطاعوا صناعة أنفسهم بالقوة دون أن يفقدوا ذواتهم.. ليتني كنت واحداً منهم.

أغبط أولئِك الذين يرون الحاضر بحضورهم، بوقوفهم بمكانٍ ما، باستمتاعهم بالوقت الراهن، أثناء وجودهم غير آبهين بما ستؤول إليه الأيام القادمة والأشهر.. أولئك الذين يظنون بأن يكونوا ضمن مجموعة ما.. حوار لطيف مع شخص، أو سماعهم لنكتة عابرة هو جزء مُرضٍ من وجودهم.

أحياناً عبثاً أتفحّص الوجوه، أدقّق بالتعابير، أحلِل الإيماءات، وأغوص بالنظرات، في هذا أرى وأشعر وأدرك ما لم تقله الألسن، ينخلق حوار في ذاتي يختلف تماماً عن الواقع الذي أراه أمام عيني. في الأعماق يكمن الاختلاف، الرفض بقوة، التحليل، والنقد. والظاهر مجاملات: ليس كذباً سلباً.. ليس زيفاً، بل انقضاء وقت وفكرة كانت لها الأقوى حضوراً على الأفكار الأخرى. الفكرة الأقوى لا تعني بالضرورة فكرة ذكية أو فكرة تستحق أن تحدث.. فكم عدد الأذكياء بالكون مقارنتاً بأولئِك السُذّج؟! لا شيء. وكم عدد الأفكار التي لو لم تحدث لكان الواقع أفضل.. على الأقل أفضل ولو بالقليل. في الواقع تحدث المجاملة ليستطيع الضعيف أن يتقّي شر القوي الجاهل.

تفحّصت وجهين: ولم أعلم يقين من نحن؟!

كان الأول يتحدث والكلمات تخرج من فمه ببلاهة عظيمة، تبلّد المشاعر كان واضح جداً على ملامح وجهه الذي بدأ وكأنه جماد.. لخلوها من أي ما يدلل على كيان إنسان لدية القدرة الكاملة والإلمام بما تكمن ماهيته الوجودية أو على الأقل محاولة الوصول لجزء منها بالتفكير، النقاش، التحليل، السؤال، الفضول، الرفض للإنسانية، والموافقة للتعايش .

كانت أفكاره تخرج من فمه كما لو كنت تستمع لأحدهم بمُسجلٍ قام بالصباح الباكر لأداء مهمة إلقاء فحسب.

بينما الآخر بالرغم من ذاك السواد الذي أحاط أسفل عينيه وتركني حائراً لبعض الوقت بسبب ذلك..! إلا أنه كان يضج حضوراً.. كانت كلماته كطفل ظلمه والده ليحاول أن يُبرّر له بأنه لم يفعل شيئاً ليستحق هذا الظلم! كانت عيناه مُشعّتان.. ولكل الكلمات التي يستمعها بداخله وقفه، لكن لم تكن لتخرج، لربما بلادة الشخص الذي أمامه كانت سبب بذلك، أو أن الكلام كان حتماً سيخونه إن أراد أن يُعبّر عما يختلج صدره.. كان ثائراً صامت، كان باكياً مبتسم، كان أبكماً صارخ.. دون أي جلبَة، وحده يرى ذلك.. وبالواقع لربما أدرك بوقت مبكر عدم أهمية وجوده.. فلا معنى لذلك كله!

.

.

أن أكل.. أن أشرب: يستمر وجودي الجسدي بهذا النظام الذي وجد نفسه عليه.

أذهب لأحد المطاعم أقوم بإكتشافهن بشغف، أجدني أعطِي الحرية الكاملة لنفسي باكتشاف الأطعمة الجديدة. أفعل ذلك.. أفعل ذلك ولدي إعتراف قد يبدو غريباً جداً، غبي.. أحمق، أو مجنون.. على الأغلب أنا مريض ولا أستطيع أن أفهم ماذا يجري.. أو لِمَ أفكر بهذه الفكرة بالضبط؟! أشعر بالشفقة تجاه نفسي وأنا ألتهم الطعام كما لو كنت لا أستحق أن أحيى ليوم آخر.. أفكر بالموت كثيراً وأرغبه.. وها أنا ألتهم الطعام كما لو كنت أموت إن لم أفعل..! أمري عجيب جداً.. بل عادي جداً حينما أصنف نفسي من أولئِك الذين وجدوا أنفسهم عالقون فحسب! هذا كل ما في الأمر أنا عالق.

يوم جديد: الشوارع تبللت بالأمطار.. الجو بارد جداً. أشعر بأن هذا اليوم يُستحق أن يُعاش! نفس الأشخاص.. نفس الطرقات، أنا ذاتي لم أتغير.. ولكن الجو تغير..!

وماذا بعد؟ أليس المناخ محكوماً مثلنا بدائرة معينة لا يستطيع الخروج منها..!

وسرعان ما عدت لما أنا عليه بعد أن شعرت بالبهجة لساعتين أو ثلاث!..

ذهبت إلى مقهى وجلست بالقرب من النافذة: ذاك المكان الذي أفضّله، أقضي به ساعة أو ساعتين أنظر لذاك وتلك: أحلل كل إيماءة.. طأطأة رأس، حركة عينين عابثة، أو ضحكة عابرة. أنظر أليهم أغبطهم قليلاً مثلما هم يفعلون تجاه الآخرين وربما تجاهي..! أمنح ذاتي الحق بأن أتمنى وأحلم لساعة، يُنادي النادل بأنه حان وقت الأقفال وأعود بعد ذاك لشقتي. أدخل أليها وتعود كآبتي كلما أحكمت قفل الباب لأحاط بجدرانها ذوات اللون البني.

أتعرّى من ثيابي وأتجرّد من ذاتي: أعلقّ ذواتي كلها أمامي وأدرسها كما كنت ومازلت أفعل مع كل كلمة أو تصرّف أو ردة فعل أتّخذها في يومي.

تيك تيك تيك تيك

الساعة تدقّ، وعيناي بدأتا تقاومان ما بين اليقظة والنوم.

أنني أرغب بشدة أن أعيش تجربة بل تجارب كثيرة أثناء نومي ولكني لُعنت منذ أن كُنت صغيراً بأن لا أحلم.

دعوني أخبركم شيئاً عن الأحلام:

عكفت ذات مرة للإنترنت لأقرأ عن إمكانية أن يحلم الشخص بما يوّد.. ولكن دون جدوى. أي وجود قبيح هذا يجعلنا نُعلّق آمالنا على خيال لن نعيشه على أرض الواقع، دقائق بل لحظات ليعطينا القليل من الأمل.

تفسيري بأنني لا احلم: هو عدم قدرة عقلي على تخيل بأنني أستحق ما أريد حقاً ولو بالخيال فحسب.. فاستعصى لا وعيي على خلق ذاك الشعور الوهمي وجعلي أراه ولو أثناء نومي. آه كم أنا مثير للشفقة حقاً.

في الصباح استيقظ لعملي.. وأبدأ اليوم.

اتذمّر كثيراً من ساعات العمل وشِدّته عليّ أحياناً كما لو أن هناك بالخارج حياة أخرى تنتظرني أفضل من هذي.. ولكن لا, ليس صحيح.

ساعات العمل: أن تكون بمكان تتنازل به عن قناعاتك لتستمر حياتك وتكون تحت مظلة الحكم الأقوى للأفكار السّائدة.. تجاري الوضع حتى انتهاء آخر دقيقة من العمل ثم تهرب. ترتدي تمّردك الذي اِعتدته.. وتخوض باقي يومك بمعركة بين القبول والرفض.. بين الحزن ومحاولة القناعة.. بين أن تكون أنت وما صب والدك بك من أفكار وعائلتك.. ومحيطك ومجتمعك ودولتك وعِرقك ودينك. تعود لكمونك وتسكن، تجد الطمأنينة في الانعزال والإسراف بذلك. تشعر بالخدر والرغبة بالانطواء أكثر.. كما لو كنت للتو قد تعرضت للضرب لساعات والحبس لأيام والسخرية لسنين.. والاضطهاد والنبذ لعمر. تعيش بالظل، ويتسرّب منك السواد ويختلط به وتتشبع أنت بذلك حتى لا تُرى. تشعر بالهلع حينما تخالط الآخرين بعد ذلك بمدة.. كما لو كنت تمشي عارياً وسط الناس بالسوق. تعمد إلى متعك البسيطة جداً. تُلك التي من بساطتها نسيتها يوماً. أما المتعة فهي أن تتخيّل ما يحلو لك.. حارصاً كل الحرص أن تعرج إلى ذاك الخيال كلما سنحت لك الفرصة ليكون وقت ما قبل النوم هو الأفضل لذلك.. تغط بنوم عميق لتستيقظ بآخر يوم في الأسبوع ليتليه بعد ذلك أجازة يومين.

اليوم الأربِعاء.. تمضي ساعات العمل سريعاً وأستعد للعودة إلى دياري. سأقود لأربع ساعات أستمع إلى الأغاني بأنواعها المختلفة.. الوقت بهذين اليومين يعملان الكثير بجدولي.

أشق الطريق عائداً بين الصحاري الخالية من الحياة.. عصراً حتى المغرب.

تستقبلني والدتي في كل مرة بنفس الحب الذي عهدته منها وذاك ما يبقيني حياً. في اليومين اعمد إلى عمل نشاطات مختلفة عدة.. لعلها تُضفي البهجة إلى أسبوعي.. ولكني اتّساءل ماذا لو علقت بهذا النظام؟! أن ابتعادي عن عائلتي لأسبوع ثم العودة هو نظام رائع يخلق لي شعور مختلف يجعلني أعلق آمال عديدة علها تتحقق يوماً ما ويجعلني أجرّب أنواع مشاعر مختلفة. وذاك ما يحقق التوازن الشعوري في وجودي. اتّساءل يا ترى كيف لي أن أفعل هذا بعدما أعود لأعمل بمدينتي. سأعلق هناك وسأعيش جدول متكرر أكثر من هذا الذي عليه الآن. ولكن لن أستبق الأحداث لأحكم. وسأضع هنا لؤلؤة أمل صغيرة جداً وسأعود لها لاحقاً لأتمعّن نورها.

اجلس حول أصدقائي وهم بأنفسهم لم يكونوا مثلما كانوا يوماً. فلكل منهم إدراكه، ظروفه، نفسه، حظه، وجوده الذي جعله ما هو عليه اليوم. يجمعنا محاولة إيجاد البهجة، والسلوان البسيط جداً بعيداً عن رتابة الحياة.. وتداخل تجاربها وتعقيداتها المتشابهة والمتناقضة.. المؤلمة والمعجزة.. المؤقتة والمزمنة. أو ما ظنناه بذلك وهو ليس كما يبدو. حيث كل شيء يجب أن يكون تحت تأثير (الربما) فبعض الاحتمالات ليست ظاهرة أمامنا.. يلزمنا البحث عنها أنفس.. حالات.. أعوام، والأمرّ من هذا البحث المُشقي هو عدم الوصول إلى نتيجة.. ! لا أعلم ربما!..

.

.

.

في يوميّ الاجازة هذي أقصد مدينة قريبة مني قد عشت بها سابقاً تجارب أصبحت فيما بعد ذكريات اتجرّعها لتكون جزء من وجودي.. وتحقق جزء من وجوديتي التي أحاول قدر الإمكان أن أصنعها. لا شيء يستحق الوقوف عنده سوء أنها سلوان لأشهر قادمة أدركت فيما بعد أن هذا يندرج تحت العبث الوجودي لا صناعة الوجودية مثلما كنت أزعم بوقت لاحق. أو لربما سلوان لا علاقة له بأي شيء سوء

أنه حدث يحدث وينتهي عند هذا الحد.

الذكريات تصنع بنا ما لا يصنعه أي شيء آخر.. تتخلل يومنا السيء وترش فوقه مسحوق الأمل والرغبة بالعودة إلى ذواتنا التي فقدناها في لحظة ما.. نحّن إلى الأشياء البسيطة جداً، التي كانت في وقتاً ما تسلية ووجود عظيم. مسلسل كرتوني قديم، سيارة عتيقة، عشاء بسيط جداً للعائلة أجمع.. زيارات الأقارب وجمعات الأصدقاء في الماضي المُندثر. ستائر منقوشة بألوان الماضي وعطر عِبقَ بأجواء الزمن المنصرم.. كذلك أول شخص أحببناه. تلك الملابس التي ارتدينا حينما تجهّزنا، وذاك العطر الذي ررششنا حينما علمنا أنه سيكون لناء لقاء، وتلك الأوقات التي عشنا، والكلمات اللاتي سمعنا، والرغبات التي فيما بعد هي بذاتها أصبحت ماضي سحيق لا مستقبل له.

الماضي، العشق، التوه، المستقبل بالنسبة لي ارتبطت هذي المواضيع ببعضها البعض والتفصيل بها يبدو شيئاً من الجنون، ولكنها تُكمل بعضها بطريقة غريبة. ويبدو لي بأن الرابط الوحيد مابين هذه الكلمات هو الألم.

ما الماضي إلا حياة وعيناها فيما بعد بأنها كانت لحظات جميلة تستحق الوقوف عندها والشعور بكل لحظة وعيشها وكأنها باقية.. أما العشق فلا يمكنني الحديث عنه حيث بدأت أظن بأنه وهم.. هو بالنسبة لي كذلك.. ولا يسعني التحدث عن الجميع بهذا الأمر.. التوه آه.. أحتاج إلى كلمات جديدة, أوصاف معقدة لأصفه وأتحدث عنه وأسهب بالحديث عنه وأعبّر. أما المستقبل فبالنسبة لي كل ما استطيع فعله تجاهه هو أن أرمي به بعض لآلئ الأمل علها تنير دربي عندما أضع به قدمي.

.

.

أنزوي بمكانٍ ما في شقتي الصغيرة وأمسك القلم.. أفكر هنا وهناك وما من أفضل من وجودي مادة للتعبير والكتابة. كم أحتقر تلك الكتابات المليئة بالأمل.. المُفعمة

بالايجابية.. والمُشبعّة بالحب.. أما أولِئك الذين يُسهبون بالكتابة عن هذا الهراء فهم بالنسبة لي الأسوء.. كأنهم لم يروا الحروب وقتلها للأطفال.. كأنهم لم يعوا وحدة المسنّين بين أربعة جدران بعد أن كانوا أحرار يجوبون الحياة غير آبهين.. كأنهم لم يعوا بأن بعض الأراضي ينقصها قطرة او قطرتين من الدماء ليسبحوا بها الشعوب بحثاً عن الحياة والكرامة. تلك الكتابات قد تكون جيدة ولكنها أمل زائف نخدع به أنفسنا لنعيش... ونتعايش. هكذا يجب أن يُدرك كاتب تلك العبارات الرنانة.. والمليئة بالحب بعالم مُشبع بالكراهية.

أترك القلم بعد أن تهت أنا عن ذاتي.. وأدركت بأنني في دربٍ لا يسعني فهمه سريعاً ولربما لسنين قادمة. وما هناك شيء أخشاه أكثر من أن ينتهي وجودي الذي أظلمه التّوه. حيث كل ما أرغبه هو الهدوء... الهدوء والطمأنينة فحسب!

هذا أنا باختصار.. أنعزل بعالمي الصغير.. غير قادر على أن أحاط بالمشاعر الطبيعية التي لا يخرج الإنسان عن محيطها.. لينتهي بي الأمر بالملل من ذلك.. وأني بعالمي أعيش الجنون واظهر اشمئزازي من هذا الوجود.. أسخط وأضحك وأبكي.. ثم في نهاية اليوم أغفر لنفسي.. وأغمض عينيّ.

يوم جديد.. معارك جديدة سأخوضها بالرغم من أنني أضعف أمام المعارك ومهاترات الإثبات الوجودي التي تحدث كل يوم.. بالأخص تلك التجمعات التي تجمع أشخاص عدة تربط فيما بين بعضهم البعض بإسم الصداقة.. وآخرين لا في نفس المكان. تحدث المجاملات كثيراً. تُسحق بعض الأفكار ولو كانت إنسانية.. تترسخ افكار مغايرة إن تم شرحها بخبث مزخرف ومنمق بمصطلحات عصرية. يبقى الصمت هو الخيار قد لا يكون الأمثل ولكنه الأسلم لك ولنفسك ولجسدك. يبقى السؤال ولكن إلى متى؟!!

.

.

.

يوم الأحد، أو الاثنين أو الثلاثاء

حقيقة لا فرق.. بارد جداً، في هذا اليوم لا شيء.. لاشيء مثير للاهتمام يحدث.

صمت، صمت وذبول فقط.

.

.

.

اليوم الذي يليه. بكاء لا أعلم مالسبب؟! بكاء وقهر.. مشاعر مسحوقة تحت وطأة الشر الذي يضجّ بالكون. بأشكال مختلفة. بكاء وبكاء بين أربع جدران قاتمة. ثورات تُخاض بين أربع جدران وسقف ثابت لا يتحرك.. وأرض صبورة. ثم تذهب وتختفي في اللاشيء.

.

.

.

تنصرم الأيام والساعات الآتيه بعدها.. كما لو أن الزمن يعيد نفسه في دورات متكررة بأحداث لها إطار مختلف ومضمون ثابت.. ولكنه يتقلّب فحسب..! الظهور ثم الندم، والتكّفير عن ذلك الانزواء.. ثم الانعزال حد الإسراف.. ودراسة الذات، ثم سحق الذوات الخيّرة.. واختيار الشكل المطلوب في المجتمع.. التعايش بصمت وألم.. ثم الثورات النفسية التي تتلاشى دون جدوى. أما أنا فمازلت مثلما كنت ينقصني وجود مكتمل الأركان.. أنا بين الذات والذات.. بين الأمس والغد.. بين العدم والوجود.

اليوم حدث أمر بسيط: محادثة صغيرة في مكان عام مع أحداً لا أعرفه لم أراه سابقاً ولن أراه بعد ذلك: تلك المحادثات البسيطة كنت استمتع بِهنّ في السابق كما لو كان

ذاك المتحدث الغريب كنز ألتهم منه كينونة إنسان وتُحفّزني لأكون أنا.. ولكنه وهم.. حيث يظهر بعد مدة بأن الجميع وبطريقة ما يتشابهون.. كما لو أنهم جميعاً دُمى قد خرجت من نفس المصنع. اصبحت المحادثات البسيطة تُربكني وتجعلني أهرب أكثر مما كنت أفعل في أي وقت قد مضى. هي لا شيء بالنسبة لي. بت أهرب من تلك المحادثات وكأنها إنذار خطر: حيث يتوجب علي أن أحذر أكثر من الكائنات البشرية أجمع.. القريب منهم والبعيد. أن أعيش بين جماعة غريبة علي هو أن أكون محاط باللاظنون ولو لفترة.. حتى يصبحوا قريبين مني بشكل مخيف.. ثم أهرب إلى مكان آخر لغراباء آخرين.. وأكمل رحلتي في المجهول.

.

.

.

اليوم أمضيت وقتٍ طويل أحدّق بسقف غرفتي, أنتقل من فكرة إلى فكرة.. نحن نهرب إلى التفكير بالمتعة عندما نريد أن نهرب من الواقع.. حينما تُكبّلنا القيود ويصبح بغير مقدرونا أن نغيّره. يكون للمتع أجمع حضور.. واللهاث خلفها سيُسبّب المتاعب.. وبينما تكون أحياناً ظنوني جنسية جداً وحافلة بالمغامرات والمشاكسات الجنسية إلا أن جسدي يرفض ذلك وبشدة.. أهرب من كل ما يسبب لي الإثارة كما لو أنني إذا لمست أحداً اِتّسخت أو أن يتفرج علي العالم أجمع عارياً.. لا أعلم لماذا ولكن الطهر الجسدي قضية تهمني كثيراً حينما يتعلق الأمر بي. لربما لأن الجنس كان متعة البشر الكبرى.. وأنا لا أعي حتى الغاية من وجودي ألأهم.. فكيف لي أن أقترب حتى مما سيبعدني أكثر عما يجب علي فهمه.. ! اشعر بالغرابة من هذا التفكير.. وأصرف ما يقربني إلى ذلك. ثم أنصرف أبحث عن قضاء وقتٍ بالرسم.. ثم الكتابة. أما الكتابة فمنها المُتنفّس وبها. أحيط كلماتي بهالات من الغموض.. لا لرغبة التعبير المُزخرف ليظهر نص جميل أمام القارئ.. بل لضرورة. ضرورة

مهمة لا أستطيع أن أغامر بها. لا استطيع فعل ذلك فحسب.

.

.

.

أظهر أمام الآخرين بأني ذاك الشخص الصامت الخالي من التحليلات والتوجهات.. الانتقاد والشك. وأنا عكس ذلك تماماً.. ما التغيير بالنسبة لي؟! أنه أصعب سؤال أوجهه لذاتي قبل أن أوجهه للآخرين.. لا أعلم. لا أعلم. هادئ جداً حد الذي يجعل الآخرين يملوني سريعاً ولدي اعتراف.. وهو بأنني لو لم أكن أنا.. لما كوّنت صداقة مع شخص يشابهني! أنني مّعقد حد الكراهية. الكراهية تبدو لي بأنها كلمة عميقة جداً كما الحب تماماً يجب أن لا تُطلق بهذه السهولة.. بل يجب علي اختيار كلمة أخرى. معقّد حد الذي يجعل الآخرين ليسوا على استعداد بالتعامل مع كل هذا التيه.. والتهشّم الذي يكمن داخلي. أبتعد عن التجمعات سريعاً وأكفّر ذلك بكتاب أو عزلة تامة ليوم أو يومين عن باقي الكائنات لأعود لكينونيتي التي قد تختلط علي وتخالطها شرور وقوة أولئك الجهلة الذي يعج الكون والمحيط بوجودهم. وما أشد فتكاً بالأرض شراً من أولِئك الجهلة الأقوياء. يُقرن الذكاء بالتساؤل والتشكيك ولذلك كانوا الأذكياء هم الأكثر ترددا بطرح ما يعتقدون. ربما أو هذا ما اعتقد على الأقل لهذه اللحظات.

.

.

.

رمضان.. والعيدين.

ترتبط هذي المواسم بطريقة ما بماضي لدي.. حيث أحببت هذي المواسم منذ أن كنت طفلاً صغير. وأظنّني أفعل لهذا العمر. ولكن بطريقة ما: أضطرب في ليل أول أيام الأعياد وباقي اليومين التاليين وأدخل بنوبة اكتئاب حادة.. أعالجها بالأكل

بشراهة والاستماع إلى أنواع الموسيقى المختلفة.. حتى تعود المياه إلى مجاريها.

.

.

.

النهاية:

التفكير بالموت يُلازمني ويجعلني أقترب من تحقيق وجودي الذي سيكتمل حتماً بعد ذلك؟ لِمَ يتم تصوير الموت على أنه نهاية مُفجعة؟! على أن يكون بداية، ولربما كانت أيضاً بداية جميلة.. أو أرغب بأن أجعله مرحلة أمل.. حد الذي يجعلني أوده وأرغبه أكثر من هذه الحياة المفروضة. حتى ولو كنت أنا بذاتي من سيختار كيفية نهايته. تكمن رغبة ملحة داخلي بأن أخبر جميع من يعّز علي بأنه عندما أموت.. يجب أن يكون يوم موتي لا يختلف كثيراً عن يوم ولادتي ومجيئي هنا. حيث الابتسامة على وجه كل من توقف ليرى وجهي.. والإحتفال يجب أن لا يقل عن ذلك. كان الإحتفال البدائي بالإنسان يحدث وأخيراً بعد تسعة اشهر.. ولا أعلم لِمَ؟! أما الإحتفال الذي يحدث بعد الإنتقال والوجود البدائي للروح يجب أن يكون أضعاف ولأنه أخيراً.. أخيراً ولربما بعد سنين عدة وعواصف وصرخات أنين.. أخيراً قد حدث!

.

.

.

اسئلة مُتراكمة.. وتزداد تراكم بمرور السنين والتجارب! من أنت يا رب؟ أم اقول يا طاقة خلف هذا الكون؟! ما كنت تفعل قبل خلق كل هذا الوجود؟! كيف تتحقق مفهومية الإلوهية بمقدرتك الكلّية هذي دون خلق عبيد؟! ستكون إلهاً على من؟! إله بذاتك؟! وحدك؟! دون تجربة وإقرار من أحد بأنك كذلك؟! أيستحق من لا يؤمن أو

فقد إيمانه بك وكفر بسنة واحدة قبل لقائك؟! ليستحق عقاب ابدي؟! بجهنم حارقة أبد الآبدين؟! ما الأبد؟! وكيف حدثت سرمديتّك وأزليتّك؟! وكيف كانت ثمرة الوجود الأولي لديك؟! بل كيف حدثت؟! ما ينال أصحاب الجنة بصرخات أهل النار المُعذبيّن؟! أولِئك الذين تعذّبوا بالدنيا كيف لهم أن ينالوا عذاباً بعد ذلك؟ أولئك الذين لم يصبروا؟ ما استحقاقيتهم لعذاب بعد كل ذاك الصبر وكسره بعد ذلك؟! من أنت يا ترى؟! ولِمَ يُغضبك أن يضلّ الإنسان بسؤاله عنك حتى يكلّ ويملّ من هراء الإجابات البدائية؟!

.

.

آه كم أتمنى لو كنت قادر على أن أعيش حيوات عديدة.. أن أعيش الجنون والعبث واللامبالاة.. أعلم يقيناً داخلي بأني بحاجة إلى اللامبالاة. أن أكسر كل تلك القيود التي تقيدني وتجعلني بهذه التركيبة المعقّدة. أريد أن أطلق العنان لتلك الشخصيات التي بداخلي.. تلك الشخصيات التي تجعلني قادراً على أن اكون حُرّاً غير آبه. لا هذه الشخصية التي تتحكّم بها كومة السواد الحالك التي تعزلني عن الوجود.. خائفاً، مُكّبل، مُعقّد، وغير سعيد. ولكن يبقى السؤال كيف لي أن أفعل ذلك؟! كيف يا والدي؟ كيف يا مجتمعي؟! كيف يا ديني؟! كيف يا ربي؟!

.

.

.

سأدخل الآن مع باب شقتي.. وأعيد ترتيب ذاتي مرة ومرتين.. وأظهر للعلن وكأنني شخص للتو قد استيقظ من حلم جديد. فلا ثورات نفسية حدثت ولا بكاء صامت.. ولا صرخات محبوسة ولا أمنيات مقيدة خلف أسوار القيود سُحقت. سأستيقظ في الصباح وأجلس بينهم صامت. مبتسم.. ومدعيّ بأنني غير آبه. اشغل نفسي بمؤقتات

تجعلني قادر على مواجهة المعارك القادمة.. بالرغم أنني وهِنَ. ومع ذلك سأستمر.

سأستمر لأحقق شيء من وجوديتي يجعلني يوماً ما أريد أن أكون.. أو على الأقل جزء من ذلك.

.

.

النهاية: (٢٩ / ديسمبر / ٢٠١٩)
الساعة: الثانية عشر وعشر دقائق صباحاً.
كتبها: قاسم حمود الريس .

تمت مراجعتها ووضعها في يوم:
التاريخ: (17 / يناير/ 2020)
الساعه: الثانية عشر صباحاً

مع الشكر لكل من خصص وقت بسيط لقراءتها:

قاسم حمود الريس